ماذا يعني أن نخلص بالنعمة؟

تأليف: هيقو مقورد

الترنيمة الإنجليزية بعنوان النعمة العجيبة، أحبها السيد آرا نورث، الذي كرس حياته شخصيا في توسيع ملكوت الله. بدأ درس الأنجيل تحت أسم « النعمة العجيبة ». وهذا الدرس وصل الآلاف من الذين لم يرهم أو يقابلهم شخصيا ولكن الذين سيلتقي بهم بسعادة في عالم أحسن.

وخلال ثلاثة قرون، لمست ترنيمة « النعمة العجيبة » قلوب الآلاف. كل من يرنم تلك الكلمات « بإدراك » كان يدهش من جديد فعلا على كبر قلب الله. وكان محتوما على كل متعبد أن يتواضع ويشكر ويستجيب ويكون أكثر تكريسا.

كاتب الترنيمة هو جون نيوتن،الذي تركته امه يتيماً في لندن بعمر سبعة سنوات وأصبح بحارا في عمر ١١. وكان من المألوف أن يكون متشككا أو ملحدا. وخلال رحلة بحرية من أفريقيا إلى أنجلترا، مرت عليهم تجربة عظيمة تركت البحارة جميعا متعبين ويائسين من الحياة. وعندما تلاعبت الأمواج بالسفينة بدأ يتذكر حياة الخطية التي يعيشها منتظرا الموت الذي كان سيلاقيه. وعندما عادت السفينة إلى وضعها الطبيعي، بدأ بالصلاة. وأصبح إنسانا آخر.

عاد إلى أنكلترا وبدأ نيوتن دراسة الكتاب المقدس. وأصبح بعد ذلك قبطان للسفينة، حيث كلف بمهمة نقل السود من أفريقيا إلى جارلستون، في كارولاينا الجنوبية. ليبعوا هناك كعبيد. أشمئزت روحه من ذلك العمل اللاإنساني. فأستقال من عمله وكتب رسالة إدانة لذلك العمل. عاد مرة أخرى إلى أنكلترا، وحصل على وظيفة كاتب في مكتب في ليفربول، وبدأ الذهاب إلى الكنيسة. وفي عمر ٣٩ سنة بدأ الكرازة وكرز لمدة ٤٣ سنة. من بين كتاباته كلمات هذه الترنيمة الجميلة:

النعمة العجيبة! كم جميلا هذا الأسم!
التي تخلص تعيسا مثلي!
كنت مرة ضالا وأما الآن قد وجدتُ؛
كنت أعمى ولكن الآن أرى.

أنها النعمة التي علمت قلبي الخشوع،
والنعمة التي أزالت الخوف.
كم تبدو ثمينة تلك النعمة
في أول ساعة آمنت فيها!

خلال العديد من المخاطر والتعب والشباك
جئت الآن
« النعمة التي جلبتني سالما من كل هذا،
والنعمة ستقودني إلى البيت.

عندما نكون هناك عشرة إلاف سنة
نسطع لمعانا كالشمس،
ليس لدينا أياما أقل لنرنم مدح الرب
مما بدأنا أولا.

وعندما حذر من الأستمرار بالكرازة وهو بعمر ٨٢ سنة، أجاب نيوتن، « هل سيتوقف الشيخ الملحد من التجديف في حين أنه يستطيع الكلام؟ » وكتب نعي وطلب أن ينقش على حجر ويضع في بناية كنيسة لندن المكان الذي كان يكرز فيه:

جون نيوتن، الكاتب كان ملحدا وفاسقا وخادم العبيد في أفريقيا، بغنى نعمة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح حفظ وأعيد وأعفي عنه وعين ليكرز الإيمان الذي حاول طويلا تدميره.

نماذج النعمة

« أغابي » أعظم كلمة في العهد الجديد (وتعني المحبة) تطلق خطأ ما لم تشمل على نعمة المسيح الفضل، غير الجدير. أني أفرح بالجمال اللامحدود وبعظمة خليقة الله (« السماء والأرض »؛ تكوين ١: ١)، ولكن الله لا يلزم عليه بأي شيء يجب أن يعمله هو. علي أن أعترف إنه بنعمته. أفرح أني مخلوق حي – نعم رئيس المخلوقات الحية في عالم الله – ولكن إنه ليس مدين لي بهبة الحياة. ما أملك الذي لم أستلمه؟ (لاحظ ١ كورنثوس ٤: ٧). مرة أخرى، يجب أن أعترف إنه « ولكن بنعمة الله أنا ما أنا » (١ كورنثوس ١٥: ١٠).

أعظم كلمة في العهد القديم « هشدا » ستكون فارغة لو لم تحتوي على النعمة. معنى الكلمة الأولي هو « يتكأ ». يرى الشخص منا الآب الرحوم يميل بحذر وتواضع ليأتي إلى الأرض وليتكلم مع خاطئ عابس وغاضب مثل قايين. وبكل الحق يمكن لرب الكون المشغول جدا أن يهمل الولد الغير مطيع قايين. ولكن النعمة أكبر من الحقوق. إنها النعمة التي حركت الآب ليترك السماء وليعمل شخصيا مع قايين. « كما يترأف الآب على البنين يترأف الرب على خائفيه لأنه يعرف جبلتنا. يذكر أننا تراب نحن » (مزامير ١٠٣: ١٣ و١٤).

لأن موقف الله واحد في كلا العهدين القديم والجديد (« لأني أنا الرب لا أتغير... »؛ ملاخي ٣: ٦) لا يستغرب الشخص في مشهد العهد الجديد لتصوير نفسه بالأبن الضال في لوقا ١٥. أظهر أنه شبيه الآب يعمل بالرحمة يركض وينحني وحتى يقع على رقبة الولد الخاطئ والدنيء والمرتد ويقبله بغزارة. العدالة البحتة لا تتحنن ولكن النعمة تقوم بذلك.

النعمة المتجسدة هو يسوع. قرر « الذهاب إلى أورشليم ». تحمل عذاب الصليب، والأزدراء والعار وصلى من أجل قاتليه « ياأبتاه أغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون » (لوقا ٩: ٥١؛ ٢٣: ٣٤؛ عبرانيين ١٢: ٢). على كل إنسان أن يقضي بعض الوقت في الظلام تحت أذرع الصليب (كما فعل الأربعة في بشارة يوحنا ١٩: ٢٥–٢٧).

بعد هذه المقابلة غير المتوقعة لا يقول الشخص مطلقا أن رب الصليب كان قد فرض العهد على جميع البشر، ولا يقول أن الخطاة قبلوا العهد المختوم بالدم ودخلوا « بمعاهدة الخضوع » مع الله. ولكن بدلا من ذلك سيرى نعمة الله التي تبدو للعيان خلال الظلام الدامس وتناشد الخطاة كي يصبحوا أبناءه: انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله. من أجل هذا لا يعرفنا العالم لأنه يعرفه. أيها الأحباء الآن نحن أولاد الله ولم يظهر بعد ماذا سنكون، ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو (١ يوحنا ٣: ١).

أولئك الذين سمعوا عن الصليب يجب أن يروا يسوع كأخ كبير يتوسل بالخطاة أن يغسلوا أنفسهم بدمه من أجل « لأن المقدس والمقدسين جميعهم من واحد فلهذا السبب لا يستحي أن يدعوهم أخوة » (عبرانيين ٢: ١١). بالرغم من أن خطاياهم فاسقة وبالرغم من أنها حمراء قرمزية يمكنهم أن يرتلوا من القلب:

نعمة يسوع العجيبة
أعظم من جميع خطاياي
كيف يصفها لساني؟
ومن أين يبدأ مديحه؟
أخذ عني حملي بعيدا،
وجعل روحي حرة
لأن نعمة يسوع العجيبة
وصلتني.
عجيبة نعمة يسوع التي لا تضاها
أعمق من البحر المتموج العظيم؛
النعمة العجيبة جميعها متوفرة لي
أوسع من حدود تعدياتي،
وأكبر بكثير من خطيتي وخزي
لذا، عظموا أسم يسوع الغالي
مجدوا أسمه!
سوء أستعمال النعمة

إساءة للنعمة

أعمال للخلاص؟

يسحق البعض بتلات النعمة بأعتقادهم أن أعمال البشر تجلب الخلاص، رابطين أعمال الجدارة بالنعمة. هناك مسؤول في احد الطوائف « يدعى أمين صندوق الجدارة » حيث

تقوم الأعمال الحسنة بالتعويض عن الأعمال السيئة، من أجل تقليص فترة بقاء الإنسان فيما يسمى «المطهر». رحلات الحج والأسرار المقدسة «تورد النعمة» للكاثوليكي الملتزم. على العكس من ذلك نفى العهد الجديد أرتباط أعمالالخلاص بالنعمة. «فإن كان بالنعمة فليس بعد بالأعمال. وإلا فليست النعمة بعد نعمة. وإن كان بالأعمال فليس بعد نعمة. وإلا فالعمل لا يكون بعد عملا» (رومية ١١: ٦).

من موقف واحد على الشخص أن «يعمل» لأجل خلاصه (فيلبي ٢: ١٢)، ولكن من موقف آخر، من المستحيل على الشخص أن يجهز طريقه إلى السماء. «كذلك أنتم أيضا متى فعلتم كل ما أمرتكم به فقولوا إننا عبيد بطالون. لأننا إنما عملنا ماكان يجب علينا» (لوقا ١٧: ١٠).

ليس عمل يدي
يمكنه أن ينجز طلبات الناموس
هل يمكن لحماستي أن لا تؤجل الآن
هل يمكن لدموعي أن تنهمر إلى الأبد،
هو يجب أن يخلص وهو وحده.

النعمة وحدها؟

ان قوة الله الخلاصية تستثنى أي شيء آخر، تبقى الأعمال أساسية في تخصيص النعمة المقدسة. لو علم الكتاب المقدس أن الخلاص بالنعمة فقط، فلا يمكن أن يضل أحد، لأنه «بنعمة الله» مات يسوع من أجل كل واحد (عبرانيين ٢: ٩). إستجابة البشر يجب أن تتداخل مع نعمته. نعمة الله فتحت ينبوعا من الماء لهاجر، ولكن كان عليها أن تفعل شيئا وإلا ماتت من العطش: ذهبت «وملأت قربة ماء...» (تكوين ٢١: ١٩).

عمل الله وحده على فتح البحر الأحمر بالنعمة، لم يحرر الإسرائيليين كان عليهم أن يقوموا بعمل بعض المسير، ولكن ولا واحد ينسب خلاصه من فرعون إلى عمل قام به بنفسه.كان باستطاعهم ان يرنموا «لأنكم بالنعمة مخلصون بالإيمان وذلك ليس منكم.هو عطية الله. ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد» (أفسس ٢: ٨ و٩).

لذا اليوم عندما يقوم الخاطئ من ماء المعمودية: لا يمدح نفسه على عمل قام هو به، وأنه أستحق الخلاص. إنه يعلم أنه لم يتبرر بأي عمل من أعماله، ولكن بالنعمة (تيطس ٣: ٥-٧). النعمة لا تبرر غير المطيع أبدا (يوحنا ٣: ٣٦؛ عبرانيين ٥: ٩).

نعمة بعد المعمودية؟

يسيء بعض الكارزون إلى النعمة حينما يقولون أن لا شيء في العهد الجديد بعد المعمودية يلزم على المسيحيين أنهم يصرون على أن كل شيء بعد سفر أعمال الرسل «ليس سوى رسائل محبة، النعمة تعتني بكل شيء». يغتاظون من كلمة «الناموس» دون ان يدركوا ان الناموس في كل نظام ديني (تكوين ١٨: ١٩؛ مزامير ١١٩: ٩٧؛ رومية ٨: ٢) هو مقدس وعادل وصالح (رومية ٧: ١٢). لم يستطيعوا ان يدركوا أن النعمة تعمل من خلال الناموس (تيطس ٢: ١١-١٥).

سوء أستعمالهم للناموس في رومية ٦: ١٤ وغلاطية ٥: ١٨ قادهم إلى التصادم مع العديد من آيات العهد الجديد التي تعلم المسيحيين أنهم تحت ناموس المسيح (إشعياء٢: ١-٤؛ إرميا ٣١: ٣١-٣٤؛ رومية ٣: ٢٧؛ ٨: ٢؛ رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ٩:٢١؛ غلاطية ٦: ٢؛ يعقوب ٢: ١٢) هؤلاء الكارزون أدانوا العهد القديم وأعتبروه «قانون مكتوب» تحرر منه المسيحيون. ولأن «الحب هو تحقيق الناموس» (رومية ١٣: ١٠؛ لاحظ غلاطية ٥: ١٤)، يقولون ليس للمسيحيين ناموس بل محبة، شيء غير موجود يوجد في «القانون المكتوب» بنظريتهم هذه لا يمكن لهؤلاء الرجال تعليم المعمودية أو عشاء الرب بثبات، لأن كلمة «محبة» غير موجودة في مثل هذه المواضيع.

منطقيا، تحزب هؤلاء الكارزون مع المؤمنين بالحب الذين يقولون إذا كانت المحبة هي الباعث، لا يمكن أن يكون أي عمل خطأ - ولا حتى الإجهاض أو القتل الرحيم كما يسموه (وهو عملية قتل المريض الذي لا أمل

من شفاءه). لاشيء يعتبر خطأ بطبيعته. يقول جوليان هكسلي: «ليس هناك حالة المطلق». «كما تتغير الظروف كذلك تفعل القرارات الأخلاقية». وحسب رأي الدكتور هارفي كوكس، لو شعرت أنك في حالة جيدة أفعل ذلك. مثل هذا التفكير يرفض أن يدين الأباحية أو الشذوذ الجنسي، أنه لا يميز كلمة «زنى» و «فجور» و «خطية» «الجنس ليس مسألة أخلاقية» يدعي ذلك عالم النفس في ميامي كرانفيل فشر. لقد قال أن المعيار يجب أن يكون «هل معقول أجتماعيا، هل هو ملائم شخصيا وصحيا بعبارة أخرى هل هي تغني حياة البشر؟» لهذا فقط أسيء أستعمال العقيدة المقدسة للمحبة والنعمة لتغطية الفسوق وكل عملية لا أخلاقية شاملة.

في الحقيقة هناك قانون مكتوب للمسيحيين: هو العهد الجديد. أي شخص يدعي إنه يعرف الله ولا يحفظ وصاياه «فهو كاذب» (١ يوحنا ٢: ٤) – وصاياه لا توجد في أي مكان آخر غير العهد الجديد (لاحظ متى ١٠: ٤٠؛ لوقا ١٠: ١٦؛ يوحنا ١٦: ١٣). يتقبل الشخص بتفكير صحيح وبكل حكمة الكلمة المغروسة (يعقوب ١: ٢١) كموجه أخلاقي له وإنه بلا هدى بدونها.

أفتهم بصورة صحيحة كلمات أوجستين إنها كلمة حقيقة وجميلة شماز شمشطمشضه: «حب وأفعل ما شئت» المتمسكون بالفضيلة والكارزون بدون قانون مكتوب لا يرون مقالة أوجستين لو إنهم تمسكوا بها كمحبة – أخلاقية بدون وصايا مكتوبة. الحب الذي يرفعه أوجستين عاليا كأساس ومفرد يبدأ بمحبة الله وينتهي بأحترام الكتاب المقدس. بموجب تفكيره، لو أحب الشخص الله كما يجب، فهو يطيع كل وصايا الله. لو ركز الشخص على الحب الأسمى، تكون «رغباته» بعمل كل ما أقره الله، ويرفض عمل كل ما حرمه الله. مشيئة الله تصبح مشيئة المسيحيون. لو أحب شخص ما الله فعلا، تكون رغبته طاعة الله بالكامل. يصبح المسيح له «كل شيء» (كولوسي ٣: ١١)، لأن «إنساننا العتيق قد صلب» (رومية ٦: ٦؛ أفسس ٤: ٢٢)، وأن حياته مستترة مع المسيح في الله (كولوسي ٣: ٣). إنه بكل رغبة سمح الله أن تغلف كيانه. «أرواحنا بلا راحة حتى يجدوا راحتهم في الله» بهذا المفهوم إنها حقيقة جميلة لو أن الشخص أحب، إنه حر أن يفعل مايشاء.

لا أعتراف بالخطية

نعمة الله المجانية عميقة جدا وواسعة. قال البعض، على المسيحي أن لا يعترف بخطاياه؛ ولو عمل ذلك، يظهر إنه لا يؤمن بدرجة كافية بنعمة الله. كتب كارز:

> رسالة يوحنا الأولى ١: ٩ لا تعلم عملية أعتراف شرعي للإنسان ليحصل على المغفرة من الخطايا بدم المسيح... أعتقد أن المقطع يعلم أن علينا أن نعترف بالحقيقة إننا خطاة، نتفق «نعترف» هي ترجمة للكلمة اليونانية هومولوجيو والتي تعني «قول الشيء نفسه» أو «نتفق» مع الله أننا خطاة.

المقت الشديد لهذا الرجل لعملية الأعتراف بالخطية قاده إلى استعمال كلمة «هومولوجيو» بطريقة مغلوطة. تستعمل اللغة اليونانية التقليدية هذه الكلمة لتعني «أتفق مع» ولكن كُتاب العهد الجديد لم يستعملوها بتلك الطريقة. المعنى المختلف كليا لذلك المعنى كان في فكر يسوع عندما ذكر الكلمة في متى ٧: ٢٣: «إني لم أعرفكم قط». في ١٢: ٤٢ تكون النتيجة بلا معنى لو قال الشخص أن الحكام آمنوا بيسوع ولكنهم لم يوافقوا (هومولوجيو). المبدأ في المعنى الذي يعنيه العهد الجديد هو «ليعترف وليقر» عندما يعترف الشخص بالمسيح (رومية ١٠: ٩؛ الرسالة الأولى إلى تيموثاوس ٦: ١٢؛ رسالة يوحنا الأولى ٢: ٢٣؛ ٤: ١٥)، وعندما يعترف الشخص بالخطية (متى ٣: ٦؛ يعقوب ٥: ١٦؛ يوحنا الأولى ١: ٩).

لأثبات أن المغفرة من الخطايا أوتوماتيكية طالما أن المسيحيين تابوا وأنهم بمواقف الثقة هو نوع آخر من الإساءة إلى نعمة الله. مثل هذه النظرية لا تتعارض فقط مع معنى يوحنا الواضح بقوله «لو أعترفنا بخطايانا»

(١ يوحنا ١: ٩)، ولكن تتضارب مع حكمة سليمان: «من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقر بها ويتركها يرحم» (أمثال ٢٨: ١٣).

الذين يحاولون جعل مغفرة المسيحيين أتوماتيكية بدون أي أعتراف يعارضون ليس فقط أمثال ٢٨: ١٣ و١ يوحنا ١: ٩ ولكن أيضا لوقا ١١: ٤: «أغفر لنا خطايانا». يتملص من تلك المقولة أولئك الذين يعلمون أن يسوع أكد في نموذج الصلاة التي قدمها لنا أن غفران خطايانا مرتبط مع كيفية غفراننا للآخرين. العلاقة موجودة، ولكن الغفران مؤكد للآخرين ليس أتوماتيكيا.بالأحرى، إنه يعتمد على «لو سمع منك» (متى ١٨: ١٥) و«لو تاب» لوقا ١٧: ٣) هذه الشروط تستلزم الأعتراف بالأخطاء.

لا تنسب الخطايا؟

الفكرة القائلة أن المسيحي الذي يعترف بالخطايا لم يفهم النعمة هي فكرة مهزوزة! وأكثر منها التعليم الذي يقول أن الخطايا لم تحسب ضده في المكان الأول. هذه الفكرة تجعل المناقشة السابقة حول الغفران الاوتوماتيكي غير ضرورية. لو أن الخطايا لم تنسب أبدا ضد المسيحي لذا فلا داعي للحديث عن المغفرة. قدم الواعظ بالكتاب المقدس معلومات خاطئة عندما قال بان «رومية ٤: ٨ تتحدث عن الإنسان (المسيحي) الذي لا تحسب عليه خطاياه. نعم، أني أعتقد أن تلك هي النعمة التي يحيا المسيحي فيها.»

هذا الأخ لم يفهم رومية ٤: ٨. لقد أقتبس الرسول بولس من المزمور ٣٢: ١ و٢: «طوبى للذي غفر إثمه وسترت خطيته. طوبى لرجل لا يحسب له الرب خطية!» تصف هذه الآيات داود، الذي وجهت له الخطية (٢ صموئيل ١٢: ١٣)، التي غفرت مؤخرا. على أي حال لم يغفر له حتى أعترف بخطيته: «قد أخطأت إلى الرب» (٢ صموئيل ١٢: ١٣)؛ «أعترف لك بخطيتي ولا أكتم إثمي. قلت أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت أثام خطيتي...» (مزمور ٣٢: ٥). لهذا فان رومية ٤: ٨ تطبق بصورة صحيحة فقط عندما يعترف الشخص بخطيته (كما في ١ يوحنا ١: ٩).

الذي لا يعترف بخطاياه هو الذي «يكتم خطاياه» وسوف لن «يفلح» (كما في أمثال ٢٨: ١٣). ليس لله المحابا. ولا واحد يستثنى من أنتساب الخطية له عندما يخطيء (التعدي على ناموس الله ١ يوحنا ٣: ٤)؛ ولا مسيحي أعترف بخطيته وحسبت ضده.

هل افترض الإنسان المحدود أن يضع حداً للنعمة؟

لقد تم مناقشة أنه ولا إنسان يعرف بطريقة كافية ماذا تشمل أو لا تشمل نعمة الله. أستغل هذا الرأي وتم الموافقة والسماح بأستعمال الآلات الموسيقية في العبادة المسيحية. ونفس هذا الرأي يمكن أن يستعمل أيضا لتبرير الماء المقدس وحرق البخور وقبول الشذوذ الجنسي وأي شيء آخر ! بدراسة الكتاب المقدس، يمكن للشخص أن يعرف ما تحتويه النعمة ومالا تحتويه: جميع الخطايا المعترف بها قد غطيت، ولكن الخطايا التي لم يعترف بها لا تزال بدون غطاء (١ يوحنا ١: ٩).

ماذا لو كانت خطية غير معروفة؟عدم معرفتها ليس عذراً (لاويين ٥: ١٧)، ولكن رب المحبة عادل ويحكم برفق أكثر أولئك الذين أخطأوا من غير معرفة (لوقا ١٢: ٤٧ و٤٨؛ ١ تيموثاوس ١: ١٣) الحكيم يفتش في الأسفار المقدسة يوميا (أعمال ١٧: ١١) «لمعرفة الحقيقة» (يوحنا ٨: ٣٢)، ويصلي لمغفرة الخطايا غير المقصودة: «من الخطايا المستترة أبرئني» (مزمور ١٩: ١٢). يبذل جهده ليكون بلا خطية (١ يوحنا ٣: ٩).

الخلاصة

إنها عملية التواء الأسفار المقدسة لتعلم ان نعمة الله تغطي غير المطيعين إما في الكنيسة أوخارجها. كم يجب أن يكون المسيحي شاكرا، بطاعته للبشارة وبأستمراره الأعتراف بخطاياه، وأن نعمة المخلص هي بركة وقوة لا تفشل وغطاء:

نعمة ربنا المحبوب المدهشة
نعمة فاقت خطايانا وذنوبنا

قائمة هناك على خشبة الصليب تتدفق
هناك سفك دم الحمل.

الظلام هو البقعة التي لا يمكننا أخفاءها
ماذا ينفع في إزالته
أنظر! هناك مد من اللون القرمزي:
أبيض من الثلج قد تكون اليوم.

نعمته لاتضاهى مدهشة وبلا حدود،
أنعم بها مجانا على كل من آمن.
أنت الذي تشتاق لرؤيته

هل ستستلم هذه اللحظة نعمته؟

نعمة نعمة، نعمة الله
النعمة التي فيها التسامح والعفو
نعمة نعمة، نعمة الله.
النعمة التي أكبر من خطايانا.

كما قال باتريك فلانيغان، «النعمة هي أستلام ما لم نستحق. والرحمة هي عدم أستلام ما نستحق.»

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧